

العقيدة - الإيمان باليوم الآخر - الدرس (3-9) : حقيقة الإنسان وما يبقى منه وجوهه  
لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 30-07-2000

### بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين، اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم، اللهم علمنا ما ينفعنا وانفعنا بما علمتنا، وزدنا علماً، وأرنا الحق حقاً، وارزقنا إتباعه، وأرنا الباطل باطلاً، وارزقنا اجتنابه، واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين.

## التعرف على حقيقة الإنسان:

### 1- النفس:

أيها الأخوة، الإنسان نفس، وروح، وجسد، نفسك هي أنت، هي ذاتك، هي الجانب الذي يؤمن والذي يكفر، والذي يشكر والذي لا يشكر، والذي يسعد والذي يشقى، هي الجانب الباقي في الإنسان، والله عز وجل يقول:

### (كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ)

(سورة آل عمران الآية:185)

سكرة الموت شيء، والموت شيء آخر، النفس تذوق الموت ولا تموت، إنها من روح الله عز وجل، وهي خالدة إلى أبد الأبد.

### (وَتَادُوا يَا مَلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُمْ مَا كَائُونَ)

(سورة الزخرف الآية: 77)

### 2- الجسد:

الإنسان له جسم، وهو وعاء تماماً، غلاف تماماً، ثياب تماماً، فإن خلعت ثيابك فهل أنت ثيابك أم أنت شيء غير ثيابك؟ قد ترتدي ثياباً رائعة، مفصلة على قدك تماماً إذا خلعت هذا الثوب، الثوب هو أنت أم

أنت شيء غير الثوب، هذا الجسم وعاء، قالب مرتكز، جانب مادي، عند الموت تخلعه ويعود إلى أصله الترابي، أما أنت فباق .

يا فلان، يا عتبة بن ربيعة، يا صفوان، ذكر النبي أسماءهم وهؤلاء هم قتلى بدر من الكفار، واحداً واحداً، فعن أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ترك قتلى بدر ثلاثاً ثم أتاهم فقام عليهم فناداهم فقال:

(( يَا أَبَا جَهْلِ بْنِ هِشَامِ يَا أُمَيَّةَ بْنَ خَلْفِ بْنِ عُنْبَةَ يَا رَبِيعَةَ بْنَ رَبِيعَةَ أَيْسَ قَدْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا فَأَبَى قَدْ وَجَدْتُ مَا وَعَدَنِي رَبِّي حَقًّا فَسَمِعَ عُمَرُ قَوْلَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ كَيْفَ يَسْمَعُوا وَأَنْتَى يُجِيبُوا وَقَدْ جِئْتُمْ قَالُوا قَالَ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا أَنْتُمْ بِأَسْمَعِ لِمَا أَقُولُ مِنْهُمْ وَلَكِنَّهُمْ لَا يَقْدِرُونَ أَنْ يُجِيبُوا ثُمَّ أَمَرَ بِهِمْ فَسُحِبُوا فَأُلْفُوا فِي قَلْبِ بَدْرٍ ))

(رواه مسلم)

### النفس خالدة لا تتأثر بالموت ولا بالقبر:

فيك جانب خالد لا يتأثر لا بالموت ولا بالقبر، هذا الجانب له مصيران لا ثالث لهما، فو الذي نفس محمد بيده ما بعد الدنيا من دار إلا الجنة أو النار، النفس خالدة، هي التي تشكر، هي التي تكفر، هي التي تؤمن، هي التي تنافق، هي التي تكون كريمة، هي البخيلة، هي النظيفة، هي الفذرة، هي الصادقة، هي الكاذبة، هي التي تسعد بالله عز وجل، وهي التي تشقى بالبعد عنه، كل صفات الإنسان صفات نفسه.

فمثلاً المركبة الفذرة من هو الفذر؟ صاحبها، المركبة النظيفة من هو النظيف؟ صاحبها، والبيت المرتب من هو المرتب؟ صاحبه، والبيت الفوضوي من هو الفوضوي؟ صاحبه، فنفسك ذاتك، هي أنت.

### الاستشهاد بأمثلة على عوارض النفس:

قد تكون في بيت واسع جداً، مريح جداً، كل حاجاتك مؤمنة، أنواع الطعام، أنواع الشراب حتى الفواكه، والحلويات، والزهور، يأتيك اتصال هاتفي مزعج جداً، تشعر بضيق لا يحتمل، لماذا الضيق؟ ما هي الجهة فيك التي تألمت؟ نفسك .

أخوان توأمان ينامان على سرير واحد، الظروف كلها واحدة: السرير، الجو، الحرارة، الرطوبة، وقد تناولوا طعاماً واحداً قبل أن يناما، فأحدهما رأى نفسه في المنام داخل بستان جميل مع أصدقائه وأحبابه،

وتبادلوا ألوان الحديث الممتع، والثاني رأى نفسه مع ثعبان أقرع، فصاح صيحة ملأت الغرفة صخباً، فلماذا سعيد هذا، وشقي هذا ؟ الظرف المادي واحد، معنى ذلك أن لك نفساً تسعد وتشقى، ترضى وتغضب، تتصل وتنقطع، تسمو وتنحط، تؤمن وتكفر، تطيع وتعصي، تحب وتكره، نفسك هي أنت ذاتك، كيف خاطب الله ذات الإنسان ؟ قال:

( إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ )

( سورة لقمان الآية: 23 )

يَا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ \* ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً

( سورة الفجر الآية: 27 - 28 )

يا أيها الإنسان، فالمقصود بالخطاب نفسه.

( يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا عَرَّبَكَ رَبُّكَ الْكَرِيمِ )

( سورة الانفطار الآية: 6 )

### علاقة النفس بالجسد:

لذلك أيها الأخوة، هذه النفس التي هي ذاتك تذوق الموت ولا تموت، وهي إما في جنة يدوم نعيمها، أو في نار لا ينفد عذابها، فجسمك هو الوعاء، والنفس ترى من خلال العينين، وتستمع إلى الأصوات من خلال الأذنين، وتعبّر عن حاجاتها عن طريق الفم واللسان، وتتصل بالعالم الخارجي من خلال الحواس. فهذا الجسم وعاء له نوافذ: نوافذ تتلقى الأصوات، و نوافذ تتلقى الصور، و نوافذ تتلقى الأحاسيس، و نوافذ واسعة جداً تتلقى الحر والقر، فجسمك وعاء نفسك، وفيه نوافذ تنتقل عبرها إحساساتك بالعالم الخارجي، الجسد وعاء، أو ثوب يُخلع.

### 3- الروح:

للروح القدرة الإلهية هي التي تحرك الجسد، فالروح والله المثل الأعلى، من باب التقريب أقول: لدينا مسجلة، الروح هي الكهرباء التي تسري فيها فيعلو صوتها، لو قطعت عنها الكهرباء لأصبحت كتلة لا معنى لها، البراد ما الشيء الذي يجعله يعمل ويبرد ؟ الكهرباء، لو وزنت براداً أو ثلاجة في ميزان دقيق وهو يعمل، ثم قطعت عنه الكهرباء هل يقل وزنه ؟ أبداً، كان ثلاجة فأصبح كتلة لا معنى لها، فكل أعضاء الإنسان ؛ كالعين ترى بالروح، والأذن تسمع بالروح، واللسان ينطق بالروح، والدماغ ينشط بالروح، والمعدة تهضم بالروح، فالروح هي الطاقة المحركة عند الموت ، تقطع عن الإنسان هذه الطاقة.

فمثلاً الكبد عن طريق الروح يقوم بخمسة آلاف وظيفة، فلما انقطعت عنه الروح وانقطعت عنه الحياة، صار قطعة من اللحم، فإما أن تحفظها في براد، وإما أن تتفسخ، فالإنسان يقول لك: أريد شطيرة سودة فأساسها كبد، كبد يقوم بخمسة آلاف وظيفة، فلما ذبح الخروف أصبح لحمًا يؤكل.

### النفس هي التي تسعد بالقرب من الله وتشقى بالبعد عنه:

أيها الأخوة الكرام، أن في الإنسان نفساً هي ذاته الخالدة، هي التي مصيرها الجنة أو النار، هي التي تسعد بالله أو تشقى بالبعد عنه، هي التي تسمو وتسفل، كل صفات الإنسان صفات بذاته. لو جننا بجسم نبي، أو بجسم أبي جهل، عيان عيان، أذنان أذنان، لسان لسان، شفتان شفتان، يدان يدان، ما الذي يميز هذا النبي العظيم سيد الخلق، وحيب الحق عن ذلك الآخر؟ أن نفسه تعرف الله، ونفسه اتصلت بالله، واصطبغت بالكمال الإلهي، وذلك الآخر نفسه بعيدة عن الله، انقطاعاً عنه جعلها تسفل وتشقى.

### قلب النفس مسكنها في الصدر وهي المقصودة في الآية:

أيها الأخوة، يقول أحدكم: إنه اليوم متضايق، فهو أكل، وشرب، ونام، كل أمورك ميسرة، لماذا أنت متضايق؟ لأن لديك مشكلة تعاني منها إنها النفس، وإذا قال الله عزوجل:

(لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا)

(سورة الأعراف الآية: 179)

فهذا قلب النفس وهو المقصود بالآية، ليس قلب الجسد، ليس هذه المضخة الصنوبرية، لا، النفس لها قلب حقاً، لها قلب، ومسكنها الصدر.

(إن الله عليم بذات الصدور)

(سورة لقمان الآية: 23)

(يا أيها النفس مطمئنة \* ارجعي إلى ربك راضية مرضية)

(سورة الفجر الآية: 27-28)

### علم النفس لا يزال في أطواره الأولى:

وقد درسنا في الجامعة في علم النفس أن أمماً في ميلانو، وهي في المطبخ رأت ابناً قد دهسته سيارة في باريس، رآته بعينها، وبعد يومين جاءها النعش، ومعه تقرير بالحادث في الساعة التي رآته قد دهس فيها، تفسير هذه الحادثة صعب جداً، الحادثة واقعة، لكن سمّوها التخاطر النفسي، معناها النفس لا تزال

حتى الآن مجهولة، أعتقد ألكسيس كاريل ألف كتاباً عنوانه [الإنسان ذلك المجهول] وقصد نفسه لا جسده.

ولقد درس الأطباء القلب والرئتين والعينين والأذنين والأجهزة، ودراسات علوم الطب متقدمة جداً، لكن علوم النفس لا تزال في البدايات، ومعلوم لديكم أنّ سيدنا عمر وهو يقف على المنبر في المدينة، قطع الخطبة ونادى: يا سارية الجبلَ الجبلَ، وهو في بلاد الفرس، ويقول سيدنا سارية سمعتُ صوت أمير المؤمنين يحذرني العدو، وأن ألتزم الجبل، فهذا هو التخاطر النفسي وهو ثابت علمياً، لكنه غير معروف تفصيلاً، كيف؟ لا نعرف

فهذه النفس كأنها إشعاع، أحياناً إنسان تذكره فإذا هو أمامك، يقال عندئذٍ: حضرت ملائكته، فهذا إشعاع صادر عنه، وهناك حوادث كثيرة جداً من الصعب أن تصدق، الحياة النفسية حياة لا تزال في البدايات.

### تجارب أولية درست حول موضوع الحياة النفسية للنبات:

أنا قرأت مقالة علمية، أستاذ في جامعة ببلد عربي، والجامعة محترمة جداً، عقد في هذه الجامعة مؤتمراً علمياً، فهذا الأستاذ جاء بأربعة خيوط بلاستيكية، حفر في أرض في مكان في الجامعة، حفر فيها أربع حفر بعمق واحد، وجاء بتربة موحدة، وجاء بنوع قمح موحد، وعدد الحبات واحد، ألفي حبة بألفين، بألفين، والتربة واحدة، والحَب واحد، والسقيا واحدة، والتسميد واحد، والعناية واحدة، والمبيدات واحدة، وجاء بطالبة كلفها أن تقرأ عن البيت الأول في الأسبوع مرتين سورة يس والفاتحة والمعوذتين والإخلاص، البيت الثاني كلف طالبة أخرى أن تمسك بالنبات، وتمزقه لإحداث ألم في النبات، والبيت الثالث كانت طالبة تلقي كلاماً قاسياً على هذا النبات، وتعذب نباتاً أمامه، والبيت الرابع تُرك على حاله وجعله مقياساً، لا قرآن ولا تعذيب، والنتائج نُشرت في مجلة علمية متخصصة، البيت الأول الذي تلي عليه القرآن نسبة النبات كانت 44% زيادة على البيت الثاني والثالث، ونمو النبات كان أطول 64% أو بالعكس، البيت الثاني والثالث أقل بمقدار 44 أو 64 في نمو الإنتاج، وكان المقياس البيت الرابع، إذا فالح عز وجل قال:

( لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْنَاهُ خَاشِعًا مُتَصَدَّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ )

( سورة الحشر الآية: 21 )

أن هذا القرآن يتوجه إلى نفس النبات.

## الاستشهاد بأمثلة على تلك التجربة:

وأحد الأخوة المصلين قال كلاماً يكاد لا يصدق قال لي: نحن لنا بيت قريب من المسجد، بيت عربي قديم، وفيه شجرة تثمر ثمراً معيباً، قال: لقد بقيت عشر سنوات تعطي ثمرتين أو ثلاثاً في السنة، فوالدي شكى همه إلى بستاني قال له: أريد أن أقطع هذه الشجرة لأنه لا فائدة منها، ثم قال له: دعها لي، وسأتيك يوم الجمعة، وفكر والدي أن المشكلة تكمن في التسميد، قال: أنا سأمسك بالمنشار لأقطعها، وأنت يجب أن ترجوني ألا أقطعها، عملية تمثيل أمام نبات، قال لي: أنا استصغرت عقلَ هذا البستاني ثم جاء بسلم، وصعد إلى منتصفها، وجاء بالمنشار ليقطعها، قال له: أرجوك ألا تقطعها سوف تحمل، تعدي أن تحمل، وهذا الرجل هو صادق عندي، أقسم بالله أنه في العام القادم حملت أكثر من خمسمئة ثمرة، وبقيت عشر سنوات تحمل، فالنبات له نفس، واسأل هؤلاء الذين يتعاملون مع النبات. يقول لك أحدهم: هذه النبتة لما نقلت من بيت إلى بيت ماتت، كانت منسجمة مع صاحب البيت الأول، هذه أمور لا زالت في البدايات.

## كذلك تجربة بحثت على بعض الديدان حول الحياة النفسية لها:

في علم الأحياء بعض أنواع الديدان نادرة جداً، إذا قطعها نصفين ينمو في رأسها ذنب، ولذنبها رأس، جاءوا بهذه الدودة يريدون أن تُشكّل عندها ذاكرة، فوضعوها في محلول، ما الذي يؤلم هذه الدودة؟ أن نكهرب المحلول، فلما نكهرب المحلول ومع الكهرباء يتألق مصباح، ويحدث ترابط، كلما كهربنا المحلول تألق المصباح، أي يضيء وهذه التجربة استمرت ستة أشهر إلى أن صار إذا تألق المصباح اضطربت الدودة، هذه بدايات الذاكرة، نحن ربطنا بين تألق المصباح وبين كهربية المحلول بستة أشهر كل يوم، إلى أن تشكل في العقدة العصبية في هذه الدودة ذاكرة بسيطة، الكهرباء في المحلول بعد ستة أشهر تألق المصباح فاضطربت الدودة، يعني صار لديها ذاكرة، قطعوا هذه الدودة شطرين، تجربة خطيرة جداً، وألقوا رأسها في المهملات، فنما لذنبها رأس جديد، وفي هذا الرأس الذي نما عقدة عصبية، وضعوا هذه الدودة في محلول، وألقوا المصباح فاضطربت، أن القضية ليست مادية، فلو كانت مادية فذلك الرأس الذي فيه العقدة العصبية والذي برمجه على إحداث ذاكرة عنده خلال ستة أشهر ألقيناه في المهملات، نما رأس جديد، فمن أين جاءت هذه الذاكرة؟ فقالوا: هناك حياة نفسية لا علاقة لها بالجسد.

## ربما أعطاك فمّنعك ، وربما منعك فأعطاك:

هناك شخص قال: قضيت ثماني سنوات في سجن، وكانني في الجنة، أنا لا أكذبه، حفظ كتاب الله كله، وإنسان يقيم بأجمل مكان يقول لك: أكاد أموت من الضيق .

## الدليل:

لقد حدثني أخ من أخواننا، وهو عندي صادق، قال لي: دخلت على إنسان من أثرياء البلد، وقال: لا أبلغ إن حجم ماله أكثر من أربعة آلاف مليون، وقال: كان كلُّ حديثه عن تعاسته، وعن شقائه، فلا يرضى عن بيته، ولا عن زوجته، ولا عن أولاده، ولا عن البلد، ويشكوا الأسواق، فلا بيع ولا حركة ، قال لي: والله يزيد حجم ماله عن أربعة آلاف مليون، قال: واستمعت إلى شكواه، حتى ضاقت نفسي، أربعة آلاف مليون، لم أعد قادرًا على الاستماع.

من غرائب الصدق أنّ رجلاً من أخواننا الكرام محسن، قال: ما إن دخلت محلي التجاري في الحريقة حتى جاءت امرأة محجبة تطلب مساعدة ألف ليرة بالشهر، ما السبب يا أختي ؟ قالت له: زوجي موظف معاشه يكفي للطعام والشراب، وليس معنا ثمن أجرة البيت، أين بيتكم ؟ قالت له: في داريا، قال لها: أنا عندي بالمساء اجتماع بداريا، ونبحث القضية، وأخذ عنوانها، في أثناء الاجتماع مع الجمعية الخيرية قال لهم: عندنا أخت تطلب مساعدة يُرجى التحقيق معها، قال: قم نذهب سوياً إليها، قال: فدخلنا البيت، فما رأيت عيني بيتاً مثل هذا البيت، تحت الدرج، والدرج تحته في فراغ، وهو غرفة ومطبخ، وحمام، مع فسحة صغيرة، بيت لا يمكن أن يسكنه إنسان، وفيه كما قال: أثاث متواضع جداً، لكن البيت نظيف جداً، وزوجها مريض، وعندهم أربعة أولاد، وقال: ما شاء الله ، وجدتهم في نباهة ونظافة، وأقسم بالله وهو عندي صادق وقال: كأن هذا البيت قطعة من الجنة، فقال لهم: الوضع يحتاج منا مساعدة، قال له: اكتب ألفين، فقالت له: لا ألف أعطوا الألف لغيرنا والحمد لله المعاش يكفيننا، قال: أنا دهشت، واحد حجمه المالي أربعة آلاف مليون من شدة الشكوى ، والألم ، والضيق والضرر كدت أن أسقط على الأرض، وهذا البيت كأنه قطعة من الجنة، ربما أعطاك فمّنعك، وربما منعك فأعطاك، القضية نفسية .

## إذا نزلت السكينة على النفس تسعد بها وتشقى بفقدها:

قد يكون إيمان إنسان بالله قوياً جداً، واتصاله بالله قوياً، تشعر أنه غني، وهو متفائل، يشع سعادة، وقد يكون الطرف الآخر أغنى منه بكثير، وحركته بمئات الملايين ومع ذلك فهو متضايق، معنى ذلك أنّ

النفس غير الجسم، لك نفس تسعد بذكر الله، وتشقى بالبعد عنه، وهناك شيء اسمه سكينه، إذا أنزل الله على قلبك سكينته سعت بها، ولو فقدت كل شيء، وتشقى بفقدها ولو ملكت كل شيء، أيعقل أن يكون لقائد القوات الإسلامية في الشام سيدنا أبو عبيدة الجراح، غرفة فيها جلد غزال، وقدر ماء مغطى برغيف خبز، وعلى الحائط سيفه؟ قال له: ما هذا يا أبا عبيدة؟ قال له سيدنا: هو للدنيا وعلى الدنيا كثير ألا تبلغنا القليل، إنسان في أسعد درجات حياته بهذا التقشف، إنسان عمره ثمانون عاماً سيدنا أبو أيوب الأنصاري يغادر المدينة لينضم إلى الجيوش الفاتحة ويموت في اسطنبول ما هذا؟ هذه السكينه تنزل على النفس تسعد بها ولو فقدت كل شيء، وتشقى بفقدها ولو ملكت كل شيء.

### إذا توصلت إلى معرفة نفسك حققت الهدف من سعادتها:

أيها الأخوة الكرام، الآخرة هي رحلة النهاية، كلنا إلى هذا اليوم قادمون، فالبطولة والاستعداد لهذا اليوم، والإنسان لا يدري متى الأجل، والله درُّ القائل:

**تزود من التقوى فإنك لا تدري إذا جن ليل هل تعيش إلى الفجر**

**فكم من صحيح مات من غير علة وكم من سقيم عاش حيناً من الدهر**

فإذا عرف الإنسان حقيقته، وعرف مهمته، وعرف مصيره، وعرف هدفه الكبير، ينسجم مع هذه المعطيات فيسعد.

كيف تطمئن نفسك؟

أيها الأخوة، لاحظ نفسك، فإن كنت في تقشف شديد، وشعرت أن الله راضٍ عنك فأنت تشعر بسعادة لا توصف، وحينما تكون بأعلى درجات النعيم المادي، و كنت غارقاً في معصية، فأنت محجوب عن الله عز وجل، وأنت معذب، هكذا شأن قلب النفس فلا يسعد إلا ذكر الله، وقرأ الآية الكريمة:

**(أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ )**

(سورة الرعد الآية: 28)

لا تطمئن إلا بذكر الله سبحانه، لو أن الله عز وجل قال: تطمئن القلوب بذكر الله لبقى المعنى قاصراً، يعني وقد تطمئن بغير ذكر الله، أما حينما جاءت الصيغة صيغة قصر " ألا بذكر الله تطمئن القلوب " أي أن القلوب لا تطمئن إلا بذكر الله، وجرب أكل طعام طيب، واجلس في مكان جميل، لكن مع البعد عن الله، فهذا المكان قطعة من النار، وجرب أن تجلس في مكان متواضع، لتأكل أكلًا خشناً، وأنت ذاكر لله، فالحال مختلف.

حينما أمرت في الطريق إلى الزبداني، وأرى مقاصف وملاهي، مئة سيارة أمامها، أقول: ماذا في الداخل؟ راقصة، ومعنّية، وطعام، هؤلاء الذين أرادوا هذا المكان يبحثون عن متعة، عن لذة، يأكلون



ويشربون ويملؤون عيونهم من محاسن امرأة لا يحل لهم أن ينظروا إليها، أقول لو عرفوا ما عند الله من سعادة، لأووا إلى الله، ولجؤوا إليه، وأقاموا في محرابه، ومرغوا جباههم عند أعتابه، هم لا يعلمون.

### إذا ارتقى المؤمن في إيمانه ازداد حبا لله وتقربا منه:

أيها الأخوة ، المؤمن إذا ارتقى في إيمانه فلا تطمئن نفسه إلا أن تكون العلاقة بينه وبين الله علاقة عالية المستوى، المؤمن رأس ماله محبة الله له، رأس ماله أنه في رضوان الله، رأس ماله أن المستقبل لصالحه، الزمن في صالح المؤمن وليس في صالح الكافر، كلما تقدم بالمؤمن السن ازداد معرفة بربه، وازداد يقيناً بلقائه، وازداد عمله الصالح إخلاصاً، وازداد وقته انشغالاً بطاعة الله، وكلما اقترب العمر من نهايته رأيته مستبشراً لأن كل هذا العمر من أجل ساعة اللقاء.

ولدينا حديث قدسي حينما أقرأه يقشعر بدني، فعن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الله قال:

((مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّىٰ أَحِبَّهُ فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا وَرَجُلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا وَإِنْ سَأَلَنِي لِأَعْطِيَتْهُ وَلَنْ اسْتَعَاذَنِي لِأُعِدَّنَّهُ وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدَّدِي عَنْ نَفْسِ الْمُؤْمِنِ يَكْرَهُ الْمَوْتَ وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاعَتَهُ))

(أخرجه البخاري)

يقول الله عن ذاته العلية:

(( وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدَّدِي عَنْ نَفْسِ الْمُؤْمِنِ ))

وإن الله لا يتردد، لكن هذا لتقريب المعنى إلينا

(( يَكْرَهُ الْمَوْتَ وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاعَتَهُ ))

هياً له جنة عرضها السموات والأرض، له حياة مريحة، لا تعب فيها ولا نصب، فالإنسان كل معلوماته دنيوية، لكن لو عرف ما عند الله ، لقال كما قال مؤمن يس:

(قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ)

(سورة يس الآية:26)

## اجتهاد بعض علماء الحديث في تعذيب الميت بأهله:

هناك حديث مشكل عند علماء الحديث، فعن أبي بردة عن أبيه قال لما أصيب عمر رضي الله عنه جعل صهيب يقول وأخاه فقال عمر: أما علمت أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:

**((إِنَّ الْمَيِّتَ لَيُعَذَّبُ بِبِكَاءِ الْحَيِّ))**

(متفق عليه)

ما علاقته إذا بكى أهله؟ بعض علماء الحديث فهم هذا الحديث فهماً رائعاً، قال: إن الميت المؤمن إذا انقلب إلى الله عز وجل، ورأى ما فيه من النعيم يتألم لبكاء أهله عليه، يعذب ببكاء أهله عليه، يقول أنا: في خير، أنا في جنة، إياكم أن تبكوا.

## الموت عرس المؤمن:

ولقد قصّ علي أحد أخواننا قصة تكاد لا تصدق، امرأة سالحة لدرجة غير معقولة، حدثني عن قصتها ابنها وزوجها كان في مجلس التعزية، قال: كانت تقضي ليلاً في قراءة القرآن والصلاة مطيعة لله عز وجل، تؤدي واجباتها لزوجها أداءً غير معقول، ترعى أولادها وبناتها رعاية فائقة، لكرامتها عند الله قالت لهم: لقد دنا أجلي، لكن لا تشكوا شيئاً، ودعت أولادها، وطلبت بناتها وأصهارها، ثم وافتها المنية، قالت قبل أن تموت: لا تقيموا مأتم عزاء، أقيموا حفلة عند موتي، والذي فعله أهلها أنهم جاءوا بمنشدين، وأقاموا حفلاً، ووزعوا حلويات، لأن يقينها بما عند الله من سعادة شيء لا يوصف، المؤمن كذلك يجب أن يتيقن أن بعد الموت جنة فيها:

**((ملا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر))**

نحن في غفلة، نحن كل مقاييسنا مادية، فلان بيته كبير فهنئاً له، فلان يملك شركة ضخمة فهنئاً له، فلان سيارته موديل جديد ما أسعده! فلان ورث أرضاً فصار ثمنها مئة ضعف فالهناء له، هذا ما فعله قوم قارون:

( فُخِرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ \* وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيَلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا )

(سورة القصص الآية: 79-80)

أيها الأخوة الكرام، أريد أن أقول لكم : إنّ موضوعات يوم الآخر موضوعات خطيرة جداً، فيجب أن تعرف من أنت؟ وما الذي يبقى منك؟ وماذا بعد الموت؟ وماذا في القبر؟ وماذا بعد القبر؟ لأن هذا كله حقٌّ، وسيكون.

سألت مرة شيخاً يعمل في دفن الموتى فقال: لدينا كل يوم في الشام ثمانون حالة وفاة، وهم بشر مثلنا، أشخاص لهم بيوت، ولهم أعمال وتجارة، فهذا المرحوم فلان، وهذا الشاب فلان، وهذه الشابة فلانة، مرة عميد أسرته، ومرة الدكتور فلان، ومرة المحامي فلان، مرة رتبة عسكرية عالية جداً، هكذا والحبل جراً، كل مخلوق يموت ولا يبقى إلا ذو العزة والجبروت .

**و الليل مهما طال فلا بد من طلوع الفجر**

**والعمر مهما طال فلا بد من نزول القبر**

من هو العاقل؟ هو الذي يستعد لهذا الموت الذي لا بد منه، يستعد له بالتوبة والعمل الصالح.

**والحمد لله رب العالمين**